مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية
Eissn:2602-5264 Issn : 2353-0499
المجلد 11/ العدد: 02 (2023)، ص: 1315-1334

ابستيمولوجيا الحجاج عند شاييم بيرلمان بين نصية الاقناع وفنية الاقتناع

The epistemology of pilgrims according to chaiim Perlman between the textuality of persuasion and the art of conviction

سامية بحري[1]، معافة هشام[2]

مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية

جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2 (الجزائر)، samia.bahri@univ-constantine2.dz

جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2 (الجزائر)، hichem.maafa@univ-constantine2.dz

تاريخ الاستلام: 2022/05/22 تاريخ القبول: 2023/09/07 تاريخ النشر: 2023/10/06

ملخص: عرف الحجاج قرونا من الإهمال والإقصاء من دائرة الاعتبار المعرفي الغربي إلا أن رجوعه إلى الساحة العلمية كان بداية مع ظهور "مصنف في الحجاج " لبيرلمان شاييم الذي ألف معجم كامل وحقيقي لكل أشكال الحجج وتأثيرها ، فكان بذلك السباق في إحياء بلاغة الإقناع والاقتناع من جديد هذه الأخيرة التي ارتبطت بعوامل سياسية وقانونية أكثر منها أدبية ولم تكن انطلاقة بيرلمان من العدم بل كانت لها جذور عميقة عبر التاريخ بدءا من العصر اليوناني وصولا إلى العصر الحديث بين متأثر ومصحح ومنتقد ومتجاوز .

تكمن أهداف الدراسة في تسليط الضوء على فرع من فروع البلاغة ألا وهو الحجاج لما يلعبه من دور في تطوير المجالات الأخرى في الحياة سواء السياسة أو الدين أو الاجتماع أو القانون أو القضاء، إضافة إلى تخصيصه عند بيرلمان لشح المكتبات بترجمة فكر هذا المفكر الكبير، أما أهمية الدراسة فهي العلمي بفكر يعتبر فعّال في الساحة الفكرية الغربية والعربية على حد سواء ، وان من النتائج المتوصل إليها في هذا البحث هي أن الحجاج البلاغي مع بيرلمان تم تحريره من

القيود الميتافيزيقية والمثالية والوضعية التي ظلت تأسره لمدة طويلة من الزمن وحرر معه خطابات الفلسفة والمنطق والقانون وبدأ في إنتاج خطابات عملية في مجال الواقع الإنساني للوصول إلى تحقيق العدالة والإنصاف ، و قد انتهجت المنهج التحليلي والتاريخي في هذه الدراسة على اعتبار أنهما المنهجين المناسبين لها .

كلمات مفتاحية: الحجاج ، البلاغة الجديدة ، ابستومولوجيا الحجاج ، الإقناع ، الاقتناع

Abstract ; Al Hajjaj knew centuries of neglect and exclusion from the circle of western epistemological consideration but his return to the scientific arena began with the appearance of Musannaf fi al Hijjaj by Perlman chaiime who wrote a complete and true dictionary of all forms of arguments and their influence which was associated with political and legal factors more than literary ones Perelman's launchwas not out of nowhere but rather had deep roots throughout history starting from the Greek era up to the modern era between the affected the corrected the critic and the transgressor the objectives of the study lie in shedding light on one of rhetoric which is al hijjaj because of its role in developing other areas of life whether politics religion society law or the judiciary in addition to allocating it to Perelman for the scarcity of libraries in translating the thought of this great thinker the study aims to enrich scientific research with thought that is considered effective in the western and arab intellectual arena alike and that one of the result reached in this research is that Al Hijjajwith Perelman was liberated from the metaphysical idealistic and positivist constraints that had been confining him for a long period of time and he of philosophy and logic and low and began to produce practical discourses in the field of human reality in order to achieve justice and fairness and I followed the analytical and historical approach in this study as they are the appropriate approaches for it

Keywords: Pilgrim, The New Rhetoric Pilgrim epistemology , persuasion, conviction.

***المؤلف المرسل: سامية بحري، معافة**

1. مقدمة

إن غرض الخطاب الفلسفي -باعتباره خطابا تواصليا هو الاقناع ،لهذا يلعب الحجاج دورا مركزيا داخل الفلسفة وعليه فهذه الأخيرة ناقصة إذا لم تحتكم إلى آليات الحجاج، لذا يستخدم الفلاسفة أساليب حجاجية كثيرة وهي إما استدلالية كالاستدلال الاستقرائي أو الاستنباطي أو الاستدلال بالمماثلة أو الاستدلال بالخلف ...الخ وإما بلاغية كالاستعارة والتشبيه والتمثيل . وتعود جذور الحجاج إلى عصور ما قبل التاريخ، وكانت أول محاججة بين إبليس والله تعالى عندما استعمل حجاج المغالطة، وقد استخدم منطق المفاضلة إلاّ أن الغالبية من المؤرخين يميلون إلى اتخاذ العصر اليوناني كأول جذور للحجاج عند الغرب خاصة مع أرسطو الذي برع في استخدام الحجاج بدرجة عالية من الدقة والشمول كما تأثر به الكثير من الفلاسفة العرب مثل ابن سينا والفارابي وابن رشد، وطبعا يعتبر الغرب السباقين إلى الامتثال به والسير على خطاه، فظلّ الحجاج يتطور من عصر إلى عصر حتى إلى يومنا هذا، ومن بين المفكرين الغرب الذين أسسوا لحجاج جديد يقوم على بلاغة جديدة "بيرلمان شاييم " Chaïm Perelman، إلا أنها في حقيقة أمرها امتداد لبلاغة أرسطو وتطويرا لها وتوسيع لمجالها، بيد أن بيرلمان ألبسها ثوباً جديداَ ووسع مجالها لتشمل كل أنواع الخطاب، عادة ما يقدم بيرلمان كمفكر موسوعي درس المنطق والفلسفة والقانون والأخلاق والبلاغة والحجاج وعلوم أخرى، وكتب في كل المجالات والحقول المعرفية، وركزنا في هذا المقال على فكره في الحجاج وتوضيح ابستومولوجيا الحجاج الإقناعي والاقتناعي في نظريته الجديدة، من هنا نطرح الإشكالية التالية : كيف صاغ بيرلمان حجاج الإقناع بعد تجاوزه لحفريات أرسطو وساهم في بعث

الحجاج الإقناعي من جديد؟ وما هي النظرية الجديدة التي خرج بها على اثر النظرية القديمة للحجاج؟

2-أصل الفكر الحجاجي عند شاييم بيرلمان :

كثيرا ما ينسب الغرب بلاغته إلى بلاغة أرسطو التي هيمنت زمنا طويلا على الفكر الغربي فسادت الفكرة التي تجعل البلاغة الغربية أرسطية، هذه الأخيرة التي امتازت بصبغة محسناتية رغم تميزها بتلميحات حجاجية تجعل من هذه التحسينات روافد لغوية تسعى إلى بعث الإقناع والاقتناع لا إلى الاستمتاع الجمالي فقط الذي لا يهتم بتعديل السلوك.

إن أفكار بيرلمان لم تنطلق من العدم بل كان لها أصول بعيدة مثل أي فيلسوف ومفكر غربي على الرغم من انه أخذ النصيب الأوفر من أرسطو إلا أن هناك من تأثر بهم سنذكر اهمهم :

2.1 السوفسطائيون : اهتم بيرلمان بالاستعارة ودورها الإقناعي، حيث تجلت قوتها الحجية فيما تحمله من دلالة ايجابية فيسهل على المخاطب قبولها والاقتناع بما يقدم له، كما اهتم بالمحسنات ومالها من دور في البلاغة الحجاجية رغم انه حاول تطوير هذا الجانب حيث أبعده عن الجانب الزخرفي التزييني وجعلها مقومات حجاجية حيث يقول في هذا "إن مجلسنا لهو حجاجي إذا كان استعماله يؤدي دوره في تغيير زاوية النظر يبدو معتادا في علاقته بالحالة الجديدة المقترحة والعكس من ذلك فإذا لم ينتج عن الخطاب استمالة المخاطب فإن المحسن سيتم إدراكه باعتباره زخرفة أي اعتباره محسن أسلوب ويعود ذلك إلى تقصيره عن أداء دور الإقناع (perelman، l'empir théorique، 1985؛ p53)

وبالتالي لم يتخل بيرلمان على جانب مهم في البلاغة الحجاجية الذي اعتنى بها السفسطائيون فكان له تأثر بعض جوانب السفسطة رغم أنه انتقدهم في كثير من المواقف والأفكار وانتقد البلاغة القديمة ليقيم على أنقاضها بلاغة جديدة

تتناسب ومقتضيات العصر لأن الحجاج السفسطائي هو حجاج حشودي وجماهيري لا ينتج معرفة بل ينتج اعتقادا إضافة إلى شكلها الخارجي الذي يسمح فقط ببروز جانبها الذاتي والمتمثل في التأثير على المستمع عن طريق تكريس أنموذج إقناعي معين بواسطة موضوعات مفروضة للنقاش في ظل وقت محدد .

2.2-أفلاطون:يعتبر الصراع بين السفسطائيين وأفلاطون أول منطلق لممارسة للحجاج وأهم محاورة يمكنها أن تعبر عن الخطابة هي محاورة "فرجياس" هنا بدأ يفحص موضوع الخطابة في مقابلته لعلم الظن وهذا الأخير موضوع خطابة السفسطائيون فالعلم يقوم على مبادئ صادقة وثابتة فيكون الإقناع مفيد في هذه الحالة بالإضافة إلى أنه يكسب معرفة وينشئ اعتقادا أيضا (بوبلوطة، 2010؛ ص11)

وفي محاورته مع "ليزياس " أكد أفلاطون للسفسطائي الذي أراد أن يؤثر في الحياة ويقدم اللذة على أي خير، أن الظن الذي يعتمده في حججه لا أساس له من الصحة لذلك اقترح أن يكون للخطابة هدف سام يوصل من خلاله إلى الحقيقة لذلك لابد أن تتوفر فيها مبدأين هما:

1-أن يدرك الخطيب الجنس الذي يتكلم فيه فيجمع خصائصه المتفرقة.

2- أن يقسم الخطيب هذه الأشياء إلى أنواعها بحيث تظل الأشياء المتجانسة مندرجة تحت جنسها وهذه النقطة الثانية يحصرها في عدة نقاط مهمة في العملية الحجاجية هي:

أ-اعتماد المنهج الجدلي في بناء القول الخطابي أي أن منهج أفلاطون يكون بالاعتناء بالقول والفكر وذلك من خلال عمليتين هما: التأليف والتقسيم، فالتأليف جدل صاعد أي أثناء العملية الحجاجية نتعرف على مفاهيم جديدة ونحاول وأن نطورها أما التقسيم فهوجدل نازل من خلاله يقسم المجادل ما توصل إليه في الأول (بوبلوطة، 2010؛ ص31)

ب-معرفة طبيعة النفوس التي نتحاور معها وبعد معرفة طبيعتها نعطيها ما يوافقها من أنواع الأقاويل لأن النفوس تختلف بحسب طبيعتها للقبول والتأثير والإقناع.

ت-مراعاة مبدأ التناسب في مستوى الأسلوب أي ما يناسب المقام (بوبلوطة، 2010؛ ص33)

وقد أكد أفلاطون أن السفسطائيين غرروا بالقضاة في المحاكم التي يجعلون المدعي عليه فيها يدافع عن نفسه بلسانه، أما الحجاج المقبول عند أفلاطون هو الذي يقود إلى العلم والمعرفة الصادقة، وعارض أفلاطون السفسطائيين في أن تكون الحجج الخطابية ذات قواعد شكلية تكثر فيها المحسنات اللفظية والبدع الكلامية المغرية، ولابد للخطبة أن تكون مهدية للنفوس نحو العدالة، وهذه نقطة مهمة عنده ويجيبهم أنهم لا يهتمون بالتعبير عن الحقيقة بل يعتبرون الخطابة فنا للإقناع يعتمد على التمويه والخداع واللغة المتملقة والبراهين الواهية مما يؤثر على الجمهور الجاهل (قعموسي، 2017؛ ص34)

لقد صاغ أفلاطون حجاجه بطريقة حوارية وجعل سقراط بطل كل المحاورات والغاية منها هي البحث عن الحقيقة وقد اعتمد على إستراتيجية البحث في علاقة القول الخطابي السفسطائي بالقيم، فالقول عنده ينقسم إلى قسمين:

1-البحث في موضوع الخطابة

2-البحث في الوظيفة، وبالتالي لم يعالج أفلاطون الحجاج بما هوصناعة القول، وإنما كان هذا البعد حاضرا في مشروعه بما هو قول صانع للإنسان والمجتمع فيقول في ذلك "أليست الخطابة على الجملة صناعة قيادة النفوس بالقول لا في المحاكم والمجالس العامة فحسب بل في الاجتماعات الخاصة أيضا، أما الخطابة عند السفسطائيين هي صناعة الإقناع (الريفي، 2018؛ ص71)

فمجال تأثر بيرلمان يكمن في عدة نقاط أهمها :

ابستيمولوجيا الحجاج عند شاييم بيرلمان بين نصية الإقناع وفنية الاقتناع

يوافق بيرلمان أفلاطون في نقده للسفسطائيين وان حجاجهم وبلاغتهم من اجل التغليط وإتباع الظن أثناء العملية التخاطبية، رغم أن بيرلمان لا ينفي هذا الأسلوب بشكل نهائي إلا انه ينتقده باعتباره منهج عمل فيقول بيرلمان مؤيدا أفلاطون " بالإضافة إلى التقليد العظيم للميتافيزيقا الغربية الموضحة بأسماء أفلاطون وديكارت وكانط، إلا انه عارض دائما البحث عن الحقيقة في المواضيع المتعلقة بالفلسفة على تقنيات بلاغة السفسطائيين التي اعتمدت على المغالطة" (perelman، 1985؛ p19)

ومنه ينفي بيرلمان أن تكون المغالطة من ضمن أساسيات الحجاج، وقد بيّنا أن أفلاطون اعتمد على الأسلوب الجدلي في بناء القول الخطابي واعتنى بالقول والفكر معا أثناء العملية الحجاجية وهذا ما بينه بيرلمان في كثير من الأحيان في مؤلفاته، حيث اعتبر أن الجدل الوحيد المبني على أسس علمية هو جدل أرسطو وأفلاطون وهنا نلاحظ تأثر بيرلمان بالجدل الأفلاطوني رغم انه تجاوز الكثير من الأشياء عنده إلا أن بلاغته تشكلت ملامحها من التراث القديم من بينها التراث الأفلاطوني ، وقد ذكرنا من قبل أن افلاطون اتبع نقطتين أساسيتين في العملية الحجاجية وهما: اعتماد المنهج الجدلي بنوعيه الصاعد والنازل والنقطة الثانية معرفة طبيعة النفوس التي نتحاور معها، وهذا ما سار على نهجه بيرلمان في بلاغته الجديدة حيث يقول في هذا الصدد " ولأن الحجاج يتعلق بالرسائل المتنوعة التي يلتزم بها الجمهور بشدة والتي لا يمكن أن تغير حالة العناصر التي تتدخل أثناء الحجاج(perelman, 1985; p63) "

3.2-أرسطو: لقد تأسست دراسة أرسطو للحجاج على مبدأين أساسين هما: الأول يختزلها في مفهوم الاستدلال والثاني يقوم على البحث اللغوي الوجودي فالاستدلال الحجاجي عند أرسطو هو "تفكير عقلي بواسطته يتم إنتاج العلم (أرسطو؛ ص24)

وهذا الاستدلال لا ينطلق من فراغ بل من معارف مسبقة وبتالي يمكن استعمال الاستدلال الحجاجي في الخطاب الفلسفي والبلاغي. ويؤسس أرسطو فهمه للحجاج على منطلقات منطقية استدلالية وهذا منح نظريته صدى وقبولا واسعا لدى مختلف العلوم منها العلوم الإنسانية، وقد بين أرسطو مدى علاقة اللغة بالوجود الإنساني إذ أن إدراكه لذاته لا يتم إلا بها، فالحجاج عند أرسطو هو نشاط خطابي بلاغي تداولي يكون بداية للحوار الفلسفي (طاليس أ.، ص245)

كما تناول أرسطو الحجاج من زاويتين : من زاوية البلاغة ومن زاوية الجدل، في الأول ربط الحجاج بالجوانب المتعلقة بالإقناع أما من زاوية الجدل فيخص الحجاج بالتفكير ويتم في محيط حواري يبدأ بمقدمات ليصل إلى نتائج بعدها فالنظريتان تكملان بعضها البعض في التحديد الذي يقدمه أرسطو لمفهوم الخطابة الذي حدده انطلاقا من طبيعة عقول الحضور والرغبة في إقناعهم ويحدده في ثلاثة أنواع : النوع الاستشاري، النوع القضائي، النوع القيمي، وقد ميز بين ثلاث مستويات من الحجج هي : الايتوس والباتوس واللوغوس في علاقتها بالأفعال الثلاثة للفعل الخطابي: الخطيب، والمستمع، والخطاب

يرى أرسطو أن الحجاج الجدلي أوسع من الحجاج الخطابي على اعتبار انه يستعمل في فحص قضايا الفكر كما يستعمل أيضا في فحص بعض جوانب الأحكام لمتعلقة بالسلوك والأخلاق أما الحجاج الخطابي فيستعمل في توجيه الفعل وتثبيت الاعتقاد (الريفي، 2018؛ ص71)

قسم أرسطو مراحل القول إلى ثلاث مراحل هي:

1-المرحلة الأولى وهي مرحلة البحث عن مواد الحجاج وسماها ب(euresis)

2-المرحلة الثانية وهي مرحلة الترتيب أي ترتيب الأفكار والحجج وتعرف باسم(taxis)

3-المرحلة الثالثة وهي ما يعرف بالأسلوب أو فصاحة البيان ويكمن علو شأن الخطيب بتسليط الضوء على البراعة التقنية للأسلوب حتى أصبحت هذه الأخيرة هي الهدف في حد ذاتها وتعرف باسم(lexis)

ومنه فقد حدد أرسطو الحجاج باعتباره كيفية للاستدلال المنطقي، وهذا التصور جعله يعمقه أكثر في البلاغة فأراد أن يجعل من البلاغة نظرية كونية فجعل المنهج الرياضي أول التطبيقات عليه وأضافه إلى الاستقراء السقراطي والجدل الأفلاطوني واخرج قياسه الشهير الذي يمكن من خلاله استنتاج نتيجة مسلم بها انطلاقا من مقدمات ثابتة (الريفي، 2018؛ ص173)

إنّ أرسطو وهو ينظم بنية الحجاج والبلاغة والجدل كان يهدف إلى تحصينه من الحجاج الواهي والمموه الذي يقتصر على النفعية المادية والمتمثل في الحجاج السفسطائي الذين أفسدوا على افلاطون مدينته مما اضطروه إلى مهاجمتهم واعتبر أن حجاجهم مبني على الأغاليط.

استند بيرلمان أثناء تطويره عملية الحجاج على المدونة البلاغية القديمة وكانت عودته إلى أرسطو واضحة، لذلك فالحجاج عنده يتقارب مع الجدل الذي فصل فيه أرسطو في كتابه الطوبيقا، فالاستدلال في الحجاج كما في الجدل يتم انطلاقا من الآراء المقبولة (عادل ع.، 2013)

وقد كان للجدل الأرسطي صدى كبير عند بيرلمان خاصة انه استعمله في العلوم الإنسانية والتحاور اليومي ضمن ما اسماه بالبلاغة الجديدة وقد وقف على آليات مشتركة في كل أشكال الكلام سواء كان كلاما شخصيا أو جماهيري أو ثنائي أو شعري أو خطابي متخصص في القانون والعلوم الإنسانية، وقد ربط بيرلمان بين الجدل والبلاغة ضمن نظريته وهذا لأنه أدرك المقاربة الموجودة بين بلاغة أفلاطون وأرسطو من خلال المزاوجة بين الخطابة والجدل (بوزناشة، 2010؛ ص100)

أحيا بيرلمان البلاغة بعدما بدأت تفتر وارتبطت جل أعماله بالشرح والتطبيق والمراجعة والتحيين للبلاغة القديمة، فبدأ بسط مجال الحجاج أكثر مما كان عليه في القديم، وأول ما بدأ بتجاوزه عند أرسطو استعماله للغة الشفوية حيث اشتغل على النصوص المكتوبة (عادل ع.، 2013؛ ص86)

أعطى أرسطو أهمية كبرى للتأثير والإقناع معا وأيضا أولى مكانة كبيرة للخطابة إلا أنبيرلمان يولي اهتماما بالخطابة الفلسفية والمنطقية والقضائية والاشهارية والأدبية والسياسية والقانونية، فأرسطو يعتبر الإقناع يخاطب العقل ويستخدم الأدلة والبراهين المنطقية والعقلية لمحاججة الغير لأن حجاج التأثير يدغدغ العواطف ويستميل النفوس ويقوم على المناورة والمغالطة حتى وإن بدى غير ذلك (عادل ع.، 2013؛ ص14)

أيضا من بين ما انتقده بيرلمان في الإرث الأرسطي الاعتماد على اللغة الشفوية في العملية الحجاجية حيث أنه اشتغل على النصوص المكتوبة فأخرج بذلك الحجاج من العموم إلى التكيف مع المرسل إليه (عادل ع.، 2013؛ ص87)

اختلف بيرلمان مع أرسطو في نقطة مهمة حيث ربط الحجاج مع مباحث علم النفس التي تحكم السلوك الفردي والجماعي وهي النقطة التي أهملها أرسطو فيقول في ذلك" فليس الحجاج في النهاية سوى دراسة لطبيعة العقول واختيار أحسن السبل لمحاورتها والإصغاء إليها ومحاولة لحيازة انسجامها الايجابي والتحامها مع الطرح المقدم، فإذا لم توضع هذه الأمور النفسية والاجتماعية في الحسبان، فإن الحجاج يكون بلا غاية ولا تأثر(perelman, 2008; p18) "

ومنه فالجانب النفسي عند بيرلمان له حصة الأسد لما له من دور في تقويم السلوك الفردي والجماعي .

2.4-العقليون والتجريبيون :

إن العقليون يرون أن الأفكار البديهية هي نتيجة العقل السوي ويقصدون دور الذات المتكلمة التي لا تتأثر بأي عامل من العوامل المحيطة بها سواء كانت اجتماعية أو تاريخية وحتى نفسية، ومنه فالعقلانية تنطلق من وجود أفكار ثابتة برهانية وهذا ما أبعدها من حيز البلاغة القائمة (بوزناشة، 2010؛ ص106)

أما التجريبية فتقوم على التجربة والبرهنة للوصول إلى الحقيقة،إلا أنها تشترك مع العقلانية في عدائها للبلاغة يقول بيرلمان في ذلك" إن كل إثبات لفكرة عامة أعلى من الوقائع قد تكون إلا رأيا أو نظرية ينبغي دعمها بالواقع في حين إن هذه الأخيرة تكون بمنأى عن أي نقد وهي بذرات المعرفة شأنها شأن الأفكار البديهية، وهي من حيث الجوهر غير متغيرة ومستقلة عن الشخص ومزاجه وتكوينه وتاريخه"

ويعني هذا أن جوهر التجريبية يتلخص في إظهار الأشياء بإظهار النظر إليها لأنها موجودة في الواقع، ومنه تصبح اللغة من الناحية التجريبية أداة اصطلاحية (اتفاقية) تسمح بالانتقال من لغة إلى لغة وهذا ما نراه في الواقع الخارجي في صلب التجريبية التي ألغت اللغة ودورها وتجاوزت كل نتائجها،مما يوقعها في عدة أخطاء فتجب البرهنة لتفادي الخطأ في كل رأي لا يحمل الحقيقة وبالتالي يحصل التطابق بين الذات والموضوع بحيث تستبعد العناصر الذاتية التي ليست واضحة انطلاقا من التجربة وتعتمد في نتائجها على الإدراك الحسي، ولوصف هذه النتائج تستعين التجريبية(l o. r., p430)بلغة نقية اتفاقية بعيدة عن التأويل والتشويه وبالتالي فالتجريبية لا تختلف كثيرا عن العقلانية في منهج العمل والتواصل (بوزناشة، 2010؛ ص107)

إذن فالعقليون والتجريبيون في مجال البلاغة وقعوا فريسة المعتقدات العامة للناس ومسلماتهم فكان هدف بيرلمان من خلال النظرية الحجاجية هي

استعادة البلاغة لمكانتها الطبيعية بين العلوم العقلية والتجريبية، ففي كثير من الأحيان عجزت البراهين المنطقية والتجريبية في الوصول إلى الحقيقة فلجأ الباحثون إلى البلاغة للبحث عن الحلول (بوزناشة، 2010؛ ص108)

يقول بيرلمان عن الحجاج الذي يهتم بدراسة تقنيات الخطاب مايلي:" تقنيات الحجاج التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات أوان تزيد من درجة ذلك التسليم(perelman, 2008; p5) أما الهدف منه هو" جعل العقول تذعن لما يطرح عليها أو زيادة درجة الإذعان وهنا يعني أن غاية الحجاج هي إقناع المتلقي واستمالته ويستدعي ذلك مجموعة من المقومات والتقنيات التي يكون فيها مجال البحث المعقول والمحتمل بعيدا عن الحسابات الدقيقة والالتزامات الصارمة للعلوم التجريبية والعقلية ولم يتوان بيرلمان من إعطاء أمثلة عن ديكارت وكانط ورولان بارت وغيرهم في كتاباته .

لقد ذكر بيرلمان مع زميلته تيتيكا بأن " المعالجة البلاغية للقضايا شكلت بديلا للمعالجة النسقية وللعقلانية الصارمة، كما شكلت المعالجة التأويلية والهيرمينوطيقية بديلا للمعالجة الابستمولوجية والمنطقية فقد انكشفت في وقتنا الحالي أوهام العقلانية والوضعية وأصبحنا على علم بوجود مفاهيم ملتبسة ...ومن واجب البلاغة أن تصبح دراسة حية وتقنية للحجاج متعلقة بالقضايا الإنسانية ومنطقا للأحكام القيمية أيضا(perelman, 1980; p19)

من خلال هذا القول نلاحظ أن بيرلمان عرف الخطأ الذي وقعت فيه كل من العقلانية والتجريبية والوضعية في إهمال جانب مهم للمعرفة وهو الجانب الاحتمالي الذي لا يكون إلا بالبلاغة الحجاجية، كما أنهم أهملوا أهمية الترابط الابستملوجي للمعارف دون استثناء سواء العقلية والتجريبية والعلوم لإنسانية القائمة على أسس لغوية ونفسية واجتماعية.

3-منطلقات الحجاج عند بيرلمان: اهتم بيرلمان بمنطلقات الحجاج والياته دون أن يراعي في ذلك جماليات الأسلوب وأدوارها الزخرفية والتنميقية وهذا إن دل على شيء إنما يدل على اهتمامه بالتقنيات التي تساعد الباحث في فهم عمليات الاقتناع العقلي عند الجمهور الكوني، ومن هنا ينطلق الحجاج من مسلمات أو مقدمات مشهورة من اجل محاججة الجمهور ودفعه إلى الاقتناع بها سواء كان ذلك قبولا أو رفضا أوتفنيدا أوتشكيكا، ومن هنا تستند مقدمات الحجاج عند بيرلمان على مجموعة من المرتكزات والمقدمات أهمها (حمداوي، 2019؛ ص70)

1.3- الوقائع : أي ما يرتبط بوقائع ويتصل به من أحداث ومصادر يقول في ذلك بيرلمان "وتتمثل في ما هو مشترك بين عدة أشخاص أو بين جميع الناس (perelman, 2008; p89)" ومن هنا تكون الوقائع انطلاقة ممكنة لبناء الحجاج مهما كانت صادقة أو مشكوكا فيها وقد تكون الوقائع مفترضة وغالبا ما ترتبط هذه الوقائع بالمرجع المادي الحسي الذي يتحول إلى مصدر للأدلة والحجج الذاتية والموضوعية.

2.3- الحقائق: وهي أكثر أهمية وتعقيدا وتجريدا من الوقائع وتتعلق بالتصورات والنظريات العلمية والمفاهيم الأدبية والفلسفية الصادقة واليقينية وهي معطيات شبه منطقية وصورية، ومن هنا يربط الخطيب بين مجموعة من الوقائع والحقائق والمواضع من اجل الاستدلال على صحة نظرية ما من اجل جعل المخاطب يقتنع بما يصله من استدلالات وحجج متنوعة ومختلفة.

3.3-الافتراضات: تشبه الافتراضات القوانين العلمية اليقينية ولكنها قوانين احتمالية وافتراضية تحتاج إلى استدلال ومحاججة سليمة من الوجهة المنطقية ومن ثم تحضا الافتراضات بالموافقة العامة على غرار الوقائع والحقائق.

4.3-القيم:اي مجموعة من الفضائل والسلوكيات ويسمى هذا الايتوس عند أرسطو، والقيم هي الفضائل والأخلاق السامية والراقية كالخير والعدل والجمال

والسعادة والفضيلة والكمال والحب،وإذا كانت العلوم الدقيقة لا تعتمد على القيم في الاستدلال والمحاججة فان العلوم الإنسانية كالآداب والفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم اللاهوت تعتمد على القيم باعتبارها سبطة حجاجية قوية.

5.3-الهرميات: تخضع منظومة القيم التراتبية مختلفة من حيث الدرجات فالقيم المجردة أفضل من القيم المحسوسة والقيم النظرية أفضل من القيم التطبيقية والهدف هو الرفع من درجة القيم من اجل جعل المخاطبين يقتنعون مما يعطى لهم من أفكار ودعاوى وقضايا .

6.3- المعاني والمواضع: أي ما ينبني عليه الحجاج وهي بمثابة المعاني التي يتناولها الحجاج كالمواضع المشتركة والمتفق عليها من قبل الأطراف المتحاجة وثمة مواضع عامة مشتركة ومواضع خاصة ومواضع كمية مثل الكل أفضل من الجزء فضلا عن وجود مواضع كيفية وهي ضد الكم من حيث أنها نسيج وحدها وتستمد قيمتها من وحدانيتها مثل الحقيقة التي يخبرنا بها الله فهي واحدة في مقابل أراء البشر المختلفة ومثل الحق الذي يعلو ولا يمكن أن يعلا عليه مهما كان عدد خصومه وأعدائه وهكذا يتضح أن مواضع الكيف واحدة (حمداوي، 2019؛ ص70)

4-آليات الحجاج عند شاييم بيرلمان :وضع بيرلمان منظومة منطقية صورية من الحجج والأدلة التي يستخدمها المتكلم أو الخطيب بإقناع الآخرين أو جعلهم يقتنعون بما يقدم إليهم من قضايا وأقوال، وهذا ما جعل بيرلمان يدرس طبيعة الطرائق الحجاجية ومختلف أشكالها التي تدفع المتلقي أو المخاطب إلى التشبث بأطروحة ما أو الاقتناع بها، لهذا لا يهتم بيرلمان بطريقة التعبير والإلقاء والتلفظ بقدر ما يهتم بالحجج التي تجعل المخاطب يقتنع بالأطروحة الموجهة إليه فلسفيا

أو قضائيا أو أدبيا أو لسانيا ومن هنا فقد حصر بيرلمان أشكال الحجاج procédé de إلى آليتين حجاجيتين هما طريقة الوصل وطريقة الفصل :

1.4-حجج الوصل: وهي تلك التي تقرب بين العناصر المتباعدة المتباينة منذ البداية وخلق نوع من التضام بين هذه العناصر حتى تصبح بنية هيكلية متسقة ومنسجمة، إلا أن الحجج القائمة على الوصل هي تلك الحجج التي تمكن من نقل القبول الحاصل حول المقدمات إلى نتائج والمقصود بطرائق الوصل أو الاتصالية الطرائق التي تقرب بين العناصر المتباينة في أصل وجودها فتتيح بذلك قيام ضرب من التضامن بينا لغاية إبراز تلك العناصر في بنية واضحة ولغاية تقويم أحد هذه العناصر بواسطة الآخر تقويما ايجابيا أو سلبيا (صولة، 2007؛ ص312)

وقد فصل بيرلمان مع زميلته تيتيكا في مجموع التقنيات الحجاجية التي تقوم عليها العملية التخاطبية التواصلية في:

1-الحجاج بالتناقض: ويتعلق هذا التناقض بأنظمة المنطق الصوري، ويعني ان تكون هناك قضيتان أحدهما تنفي الأخرى على اعتبار أن اللغة الطبيعية قابلة لتأويلات مختلفة أما اللغة الرمزية التي لها لغة أحادية فينتج تناقض وعدم اتفاق لان هذا التناقض في الحجاج متعلق بظروف موضوع الخطاب ومستوى فكر المشاركين في لحجاج.

2-الحجج القائمة على العلاقة التبادلية: وهذا النوع من الحجج يخص تعلق وضع ما بوضع آخر ولا يمكن الفصل بينهما كعلاقة نزول المطر بوجود سحاب ثقيل.

3-حجج التعددية: وهي علاقة تتيح الانتقال من علاقة إلى علاقة أخرى، كان تكون علاقة ثلاثية أو رباعية مثل علاقة بين أ و ب والعلاقة بين ب وج تتيح الفرصة بالضرورة وجود علاقة بين (أ)و(ج).

4-الحجج بتقسيم الكل إلى أجزائه أو إدماج الجزء في الكل: فالأول يعني التأكيد على وجود الكل من خلال وجود الأجزاء، أما الثانية فتعني ما ينطبق على الكل ينطبق على الجزء.

5-الحجاج بالمقارنة: فعندما تتعدد الموضوعات لابد من المقارنة فنستطيع تقويم النتائج في ضوء ما يقابلها.

6-الحجاج بالوصل السببي : فالعلاقة السببية علاقة حجاجية تربط بين الأحداث وغايتها تقويم الأحداث وهو حكم موجه نحو السلوك والتربية.

7-الحجاج بالشخص وأعماله: وهنا نمثل بعلم الأخلاق والقانون اللذان يعتمدان على الإنسان وأعماله بحيث أن مفهوم الإنسان ومفهوم العمل لا يمكن الفصل بينهما.

8-حجة السلطة: حيث أن هناك أشخاص أحكامهم تكون بمثابة حجة قوية على صحة أطروحة ما وهذه السلطة يمثلها الأنبياء والعلماء ...

9-الحجج بالمثل والاستشهاد والتمثيل: (عادل ع.، 2013؛ ص94،93)

2.4-الحجج الفاصلة : وهي تلك التي تفصل بين المفاهيم والعناصر التي تشكل كلا مترابطا أوهي التقنيات المستخدمة لغرض إحداث قطيعة وفساد اللحمة الموجودة بين عناصر تشكل عادة كلا لا يتجزأ أو على الأقل كلا متضامنة أجزاؤه في إطار نطاق فكري واحد وفوق هذه الطرائق يحدث فصل داخل المفهوم الواحد بملاحظة انعدام الانسجام بين العناصر المكونة له، ويحمل أعراضه على جوهره وبالتالي فالطرائق الانفصالية هي تلك التي تقوم على الفصل بين عناصر تقتضي في الأصل وجود وحدة بينها لها مفهوم واحد، ومن ثم فهي عناصر راجعة إلى اسم واحد بعينه بينما وقع الفصل بينها وعمد إلى كسر المفهوم الواحد الذي يجعل لأسباب دعا إليها الحجاج (حمداوي، 2019؛ ص43)

5-ثنائية نظرية الإقناع والاقتناع في الحجاج البيرلماني: لقد قسم بيرلمان الحجاج حسب نوع الجمهور إلى قسمين هما : الحجاج لإقناعي والحجاج الاقتناعي وقد تتبع خطى الكلاسيكيين في عملية التقسيم حيث جعلوا الاقتناع يقين عقلاني يخاطب العقل والإقناع غير عقلاني يخاطب الإرادة.

1.5الحجاج الإقناعي: وهو حجاج يرمي إلى إقناع نوع من الجمهور وبالتالي جمهور ذاتي وخاص وضيق فلا تعتمد عليه في الحجاج، كما يستعمل في مخاطبة الخيال والعاطفة وبالتالي لا يعطي للعقل المجال الواسع في حرية الاختيار ويعتبر الإقناع مجال من مجالات البحث الحجاجي وبالتالي يكون سبب الفعل هو أهم وظيفة حجاجية حيث تتطلب وعيا بآليات من شانها تحريك الملتقى نحو القيام بالفعل وتغييره بما ينسجم مع المقام، وهذا يتطلب وضوح الأسلوب واحترام شخص المتلقي عبر الربط بين العوامل اللغوية والأسلوبية بأخرى نفسية واجتماعية (حيدر، 1995؛ ص71)

وقد ذكر بيرلمان آراء باسكال عن الإقناع في مؤلفه "فلسفة البلاغة الجديدة" حيث يؤكد باسكال أن هناك قوتين تتلقى من خلالهما الروح الآراء الخارجية وهما العقل كملكة للحدس والإرادة، ويفضل باسكال القوة الأولى لأنها تثبت الحقائق بالبرهان والاستدلال إلا انه لم ينكر قوة الإرادة في عملية الإقناع ومالها من فضل في عملية الخطاب والمحاججة، ورغم أن باسكال كان يفضل قوة العقل على قوة الإرادة إلا انه انتبه إلى الخطاب الديني وما فيه من حقائق ربانية تتطلب التسليم المباشر لها لأنها حقائق فوق الطبيعة فإرادة الرب تدخل الحقائق في النفوس من القلب إلى الروح فتذل تلك القوة التي اعتمدت على الاستدلال (بيرلمان، 2020؛ ص52)

إلا أن بيرلمان يؤاخذ العقلانيين من بينهم باسكال وكانط على أنهما يفضلان قوة على أخرى في حين أنه يرى أن كل قوة لها فاعليتها في مجالها ولا يمكن أن

نلغي قوة ونستبدلها بقوة أخرى، حيث يقول في هذا الشأن " ...وهذا هو الحال أيضا في العديد من الأبحاث المتعلقة بالدعاية البروباغندا حيث يكون الجانب العاطفي الإيحائي للظاهرة هو الجانب الجوهري ووحده من يؤخذ بعين الاعتبار "(نفسه ا.، ص53)ومنه فبيرلمان يعتبر حجاج الإقناع له أهمية بالغة في أي مداولة أو مرافعة أو خطاب سياسي أوديني حيث يقول " أن أي مداولة في الاجتماع مرافعة خطاب سياسي أوديني وفي معظم العروض الفلسفية لن يمكننا العمل إلا عن طريق الإيحاء، وسيأخذ نطاق هذا الأخير بالامتداد ليشمل كل ما لا يمكن له الاستناد لا على التجربة، ولا على الاستدلال" (بيرلمان، 2020؛ ص53)

2.5-الحجاج الاقتناعي : وهو التسليم المنبعث من داخل النفس باطمئنان وان يسلم به كل ذي عقل، أي انه موجه إلى متلقي كوني كما أنه يقوم على الحرية والعقلنة بعيد عن أساليب الإكراه والإرغام والعنف ولذلك يعتبرونه أساس الحجاج ومن هنا يتبين أن المبدأ الذي ينطلق منه أي حجاج في رأي بيرلمان هو ما بُني على الحرية والحوار العقليين ويتحرر من الاستدلال الذي يضعه رهينة الخضوع والاستسلام(حيدر، مرجع سابق، ص72) يقول في هذا بيرلمان "والمرء في حالة الاقتناع يكون قد اقتنع بنفسه بواسطة أفكاره الخاصة أما حالة الإقناع فإن الغير هم الذين يقنعونه دائما (perelman، 2008؛ p35)"

يقول بيرلمان في هذا الشأن " إن الحجاج غير الملزم وغير الاعتباطي هو وحده القائم بأن يحقق الحرية الإنسانية من حيث هي ممارسة لاختيار عاقل فإن تكون الحرية تسليما اضطراريا بنظام طبيعي معطى سلفا معناه انعدام كل إمكان للاختيار فإذا لم تكن ممارسة الحرية مبنية على العقل فإن كل اختيار يكون ضربا من الحوار وسيحيل إلى حكم اعتباطي يسبح في فراغ فكري (perelman, 2008; p682)

وبالتالي فقد اجتهد بيرلمان من تخليص الحجاج من تهمة المغالطة والمناورة والتلاعب بعواطف الجمهور وعقله أيضا، كما خلصه أيضا من صرامة الاستدلال الذي يجعل المخاطب في وضع ضرورة الخضوع والاستلاب يقول بيرلمان في هذا " الحجاج لا يكون أبدا في موضع يسمح له بادعاء اليقين ولا جدوى من الحجاج ضد ما هو يقيني ...الحجاج لا يتدخل إلا في الحالات التي يكون فيها اليقين موضع طعن(perelman, 2008; p19) "

الخاتمة :

ما يمكن الخروج به كنتيجة أن الحجاج هو آلية من آليات التفكير الفلسفي وقد استخدمه شاييم بيرلمان لتطوير العديد من المجالات الأخرى وخاصة مجال القضاء والقانون من اجل الوصول إلى العدالة المنشودة، أما أهم شيء وصل إليه بيرلمان في مجال الحجاج هو حجاج الاقتناع حيث تعتبر نظرية جديدة بعدما تجاوز إرث أرسطو القائم على نظرية الإقناع حيث أن الجمهور في نظرية الإقناع ليس له أي سلطة أثناء عملية التحاور، و ما عليه إلا أن يسلم لما يتلاقه من الطرف الآخر، أما النظرية الجديدة لبيرلمان "نظرية الاقتناع" فقد أعطى للجمهور المجال الواسع للتفكير وتجاوز كل إذعان للفكر .لذا فان الحرية هي شرط من شروط التلقي في عملية الحوار والمحاورة فيكون موجه إلى متلقي كوني قائم على العقل والحرية ويتجاوز العنف والإرغام وكل استدلال يضع الطرف الآخر رهينة للخضوع والاستسلام . كما أن الحجاج الاقتناعي ليس تجاوز للحجاج الإقناعي، إنما تستخدم كل نظرية على حسب مجالها، فالإقناع يستخدم في المرافعات القضائية والخطب الدينية ويتدخل فيها الإدراك لتوصيل الأفكار المراد، أما الاقتناع فيستعمل من أجل تجاوز التلاعب بعواطف المتلقي ومغالطاته، فتكون نظرية الاقتناع مكملة وتطور لنظرية الإقناع الكلاسيكية.

قائمة المراجع:

perelman, c. (1985). *l'empir théorique.* paris: edition de l,université bruxelle.

perelman, c. (1980). *rhetorique et philosophie* . paris: edition de l,université .

perelman, c. (2008). *traité de l,argumentatio.* paris: edition de l,unuversité bruxelles

طاليس ،أرسطو .*بيروت ,الخطابة* ،دار العلم للنشر ، ترجمة عبد الرحمان بدوي .

بيرلمان ، شاييم (2020)، ترجمة انوار طاهر عالم الكتب . الاردن .*فلسفة البلغة الجديدة* .للنشر .

كامل ،حيدر ، (1995) ، *رسائل الإمام علي* ، دار الفكر اللبناني للنشر ، لبنان

حمداوي . جميل ،(2019) *شاييم بيرلمان رائدا للبلاغة الجديدة*، دار الريف للطبع .ط1

. .عبد الله،*صولة* .(2007) ،*الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية* ، بيروت :دار الفارابي.

طروس ، محمد ، (2005) : *النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلغية والمنطقية اللسانية* .المغرب :دار الثقافة للنشر.

عادل ، عبد اللطيف ،(2013)، *بلاغة الاقناع في المناظرة*. دارالامان للنشر ، بيروت .

بوزناشة ، نوردين (2010) ، *الحجاج في الدرس اللغوي الغربي* ، العدد 4، مجلة العلوم الانسانية .

الريفي ،هشام ، ,2018) *الحجاج عند أرسطو* .الجزائر. جامعة البليدة ، أطروحة دكتوراه

قعموس ،ع .القادر (2017) *الخطاب الحجاجي في الفكر النقدي المعاصر* (أطروحة دكتوراه) . سيدي بالعباس .الجزائر

بوبلوطة : حسين .(.(2010) . *الحجاج في الامتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي* .أطروحة دكتوراه ، باتنة :كلية الآداب للنشر.